فن التراجم لدى الجزائريين من خلال كتاب الإصابة لأبي راس الناصري.

د. بودية أمحمد ؛ أستاذ محاضر جامعة مولاي الطاهر سعيدة.

The art of translation among the Algerians, through the book of injury by Abu Ras Al-Nasiri

boudiamhamed@hotmail.com

الملخص:

كثيرة تلك التراجم الجزائرية التي خلدت الأعلام لاسيما الجزائرية منها على سبيل التخصيص؛ فكتب ابن الصغير التهرتي، وابن قنفذ القسنطيني، وأحمد الونشريسي، وأبو راس الناصري ، وابن مريم التلمساني، وغيرهم، ومنهم من رحل إلى المشرق لأسباب متعددة والتقى بنظرائه المشارفة فاحتفوا به وخلدوه في كتبهم وأفردوا له التراجم المطولة والمتعددة، وقد جاء هذا المقال لإماطة اللثام عن بعض ما كتب أبو راس الناصري مترجما للصحابة الكرام الذين جاؤوا بلاد المغرب، والإجابة عن إشكالية مفادها: كيف استطاعت هذه التراجم في التعريف بالصحابة الذين وطئت أقدامهم المغرب؟. وإلى أي مدى ساهمت هذه التراجم في لفت أنظار المؤرخين وأصحاب السير لهؤلاء الوافدين إلى مغربنا؟.

الكلمات المفتاحية: كتب التراجم، الإصابة ، الصحابة ، أبو راس الناصري.

Summary:

There are many Algerian translations that immortalized the flags, especially the Algerian ones, as a matter of specialization. Ibn al-Saghir al-Tihriti, Ibn Qunfud al-Quntini, al-Wansharisi, Abu Ras al-Nasiri, Ibn Maryam al-Tilmisani, and others, and some of them traveled to the East for various reasons and met his peers, so they celebrated him and immortalized him in their books and singled out lengthy and multiple translations for him, and this article came to reveal some of them. The books of translations authored by the Algerians, although they are many and cannot be listed here. It is necessary to refer to what Abu Ras al-Nasir wrote as a translator for the Companions who came to the Maghreb, and to answer a problem that says: How were these translations able to introduce the Companions who set foot in Morocco? To what extent did these translations contribute to drawing the attention of historians and biographers to those who came to our Morocco?

Keywords: translation books, Algerian flags, Abu Ras Al-Nasser, the Companions.

تعتبر كتب التراجم من أنفس التآليف التي خاض فيها المسلمون فسبقوا بها غيرهم، وقد أرادوا من خلال هذه المصنفات تخليد علمائهم وأدبائهم وملوكهم وعظمائهم وشعرائهم، وعلم التراجم من الفنون الأدبية النثرية والتي تصب وتخدم علم تاريخ الأدب، وقد أبدع العرب فيها لتخليد مآثر وتسجيل ذكريات أبطالهم فجعلوها أنواعا

حسب الترتيب المعتمد فمنها التراجم على الطبقات ومنها التراجم على الوفيات وهي ما تعرف بكتب الوفيات اختصارا ومنها ما ترتب على البلدان أو القرون ومنها كتب البرامج...

وهناك تقسيمات متنوعة لعلم التراجم والكتب العديدة المؤلفة في هذا الباب، فمنها:

- التراجم على الطبقات. مثل؛ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي.
- التراجم على الحروف. مثل ؛وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان.
- التراجم على الوفيات. مثل؛الوفيات ليحيى بن أحمد الونشريسي.
- التراجم على القرون. مثل؛ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي.
- التراجم على البلدان ، مثل: خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصفهاني.
- التراجم المهتمة بضبط الأعلام، مثل؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير.

وقسّمها البعض الآخر على أبواب مختلفة، منها:

- التراجم المتعلقة بمكان معيّن. مثل: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- التراجم المتعلّقة بمذهب معيّن؛ مثل:. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لمحيي الدين أبو محمد القرشي.
- التراجم المتعلّقة بفنّ معيّن من العلم. مثل طبقات المفسرين للسيوطي.
- التراجم المتعلقة بشخص معين، مثل: مناقب أحمد لابن الجوزي.
- الترجمة الذاتية. مثل؛ **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لأبي راس الناصري.**

ولعل هناك أسبابا كثيرة أدت إلى ظهور هذا النوع من التصانيف لدى المسلمين ولكن أهمها كان الترجمة للصحابة والتابعين والرواة خدمة لحديث رسول الله .صلى الله عليه وسلم . وحمايته من الكذب والتزوير والتدليس كأساس لتلقي الأخبار عن الثقات. كما كان أيضا من أعلام المسلمين بعض الفرس والروم و الأمازيغ والتي كانت لهم أسماء غريبة وغير معهودة لدى النسابين، فكان على أصحاب التراجم ضبطها بما ينسجم مع ألسنت هؤلاء، ذلك أن التصحيف في الأسماء كثير، يقول أبو أحمد العسكري: " أشد التصحيف التصحيف في الأسماء" [1].

وقد كتب في هذا الفن المشارقة والمغاربة على جد سواء حتى أن ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ذكر بأن كتاب " زهر الآداب وثمر الألباب" لصاحبه الحصري القيرواني[2] قد "جمع فيه كل غريبة"[3] ومن كل غريبة التراجم. وهي إشارة منه بأن المغاربة كتبوا في التراجم أيضا. وقد أكثر الجزائريون في تدوين كتب التراجم إلى حد لا يمكن حصرها، ومنهم أبو راس الناصري. ومن بين الجزائريين الذين وجدت لهم تراجم مشرقية على سبيل المثال لا الحصر؛ الشريف لتلمساني، أبو راس الناصري، و. الشيخ محمد بن علي السنوسي، عبد الكريم المغيلي والونشريسي، وابن قنفد القسنطيني، .وغيرهم كثير.

التعريف بالكاتب.

هو محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، وهو نسب متصل إلى عمرو بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] ، **من العلماء الجزائريين الموسوعيين، والمكثرين من التأليف تول التدريس والفتوى والقضاء، اختلف في تاريخ ولادته فمنهم من يقول: كانت ولادته في 08 صفر 1165هـ، الموافق لـ 27 ديسمبر 1751م[5]، ومنهم من يقول كان مولده في: 1150هـ، يقول أحد تلامذته[6] بأن تآلفه فاقت الخمسين كتابا[7]**، وذكر المستشرق **كراتشوفسكي[8]**، متحدثا عن تآليف أبي راس فقال أنها بلغت مئة وأربعين مصنفا[9]،

وذكر محمد كحالة الدمشقي صاحب كتاب معجم المؤلفين شيئا عن وفاته فقال : " توفي الشيخ يوم 15 شعبان 1238هـ[10] وصلَّى عليه ألفٌ وخمسمائة نفسٍ بتحرير مَن حضر، جُلّهم حمَلة قرآن وعلماء وأشراف، وكان إمام الجميع تلميذه العلّامة أحمد الدايجي، ودُفِن بمعسكر على شاطئ النهر الفاصل بين داخل البلد وعقبة بابا عليّ، وعليه بناء مشهور"[11].

لقد كتب أبو راس في فن التراجم عدة مؤلفات لعل أهمها: "نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان" و" **لإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة" و" فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" و" الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم"، و"ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس"، و"مروج الذهب في نبذة من النسب، ومن انتمى إلى الشرف والذهب"، و"الوسائل في معرفة القبائل". و"الزهرة الوردية في الملوك السعدية".**

وترجم للصحابة في كتابه " الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة"[12]، ومنهم من أورده بعنوان" در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة" وأظنه نسجه على منوال السيوطي الذي سم مؤلفه" در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة" وقد استفاد أبو راس من هذا المؤلف كثيرا في إخراج مؤلفه. وترجم لنفسه في مؤلفه " **فتح الإله** ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، فقد كان عبارة عن سيرة ذاتية له، كما كان لديه اطلاع على تراجم جم من العلماء فلما ذم ابن خلدون مثلا في حضرته من طرف محمد المحجوب التونسي دافع عنه بقوله " كفى

بابن خلدون مزية أن عالم الدنيا ابن مرزوق الحفيد تلميذه، وأثنى عليه علما ودبنا ، وشرحه للبردة[13] يدل على غزارة علمه"[14].

التعريف بالكتاب ومنهج مصنفه.

من أهم كتب التراجم التي أخرجها لنا أبو راس كتابه " الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة" محل دراستنا والذي ذكره ابن سودة والذي يقول أنه يقع في كراسين بمكناس[15] حيث ذكر جميع الصحابة الفاتحين الذين حلوابالقيروان ثم الجزائر، وعددهم ثلاثة وخمسين صحابيا،مترجما لهم فردا فردا وذاكرا كيف كانت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأعمال التي قاموا بها في المغرب كبناء المساجد وحفر الآبار وغيرها. وعدد الأحاديث التي رووها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يدل على اطلاعه الواسع بكتب السنة، ثم لا ينس أن يذكر من هؤلاء الصحابة الذين عادوا إلى المدينة المنورة والذين دفنوا في القيروان أو غيرها من مدن المغرب، كحفيدة عمر بن الخطاب فاطمة بنت عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين، حيث ماتت ودفنت في القيروان ، بمكان اسمه "باب سلم"[16].

بدأ صاحب الكتاب ببسطة جغرافية عن إفريقيا ثم القيروان مهبط هؤلاء الصحابة ثم ابتدأ بذكر حدود المغرب من الجهات الأربع حتى يحصره بدقة الباحث العارف بجغرافية المكان، ثم ترجم لكل واحد من هؤلاء منفردا ومعتمدا على مجموعة كبيرة من المصادر لعل أهمها:

الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر.

در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة للسيوطي.

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.

تجريد أسماء الصحابة للحافظ الذهبي.

ثم قدم لنا أبو راس تفاصيل دقيقة عن هؤلاء الوافدين، والذين جاؤوا المغرب ثلاث مرات؛ الأولى في 27هـ، والثانية في 34هـ، والثالثة في 50هـ، هذا مما يدل على اطلاعه الواسع وحفظه القوي، بدأ هؤلاء الصحابة الوافدين إلى المغرب بعمرو بن العاص[17] الذي فتح مدينة طرابلس الليبية، حيث ذكر الليلة التي مات فيها وهي ليلة عيد الفطر، والسنة؛ وهي ثلاث وأربعين للهجرة وعمره حين الوفاة تسعين سنة .

ثم أحيانا يذكر بعض الأعمال التي قام بها الصحابي ككتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم، مثل ما فعل مع الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم يستعين بأصحاب الأخبار مثل: ابن الربيع[18]وابن خلدون وصاحب كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ابن أبي دينار.

كما أنه يرجح أن فتح الأندلس وقع مرتين[19]مرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ومرة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، بالطبع بعد تمحص جميع المصادر التي كانت بين يديه.

وأحيانا يورد الأشعار التي قالها بعض الصحابة كما فعل مع عبد الله بن الزبير، حينما غنم ابنة جرجير ملك البربر في القيروان وقت الفتح، وعندما يورد روايات الآخرين يضع ألف هاء ، عند نهاياتها. وقد يورد بعض الأعمال للصحابة والتي لم تكن سابقة لهم مثل: أول من بني المنارات للآذان في مصر هو: الصحابي مسلمة بن مخلد.

وربما يذكر الخلاف حول بعض الوافدين المترجم لهم في صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعل بعقبة بن نافع حين ساق أنه لا تصح له صحبة نقلا عن الذهبي[20] والسيوطي لأن مولد عقبة كان ما بين العام الثامن والعام العاشر للهجرة بينما كانت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الحادية عشر للهجرة.[21] ، واعتبر صحابيا بالمولد أو من كبار التابعيين[22].

كما لا ينس أبو راس ذكر عدد الأحاديث التي رواها الصحابي المترجم له فهو يذكر بأن عبد الله بن الزبير مثلا قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عشرين حديثا. وروى أيضا عن أكابر الصحابة.

ثم شرع المؤلف في بسط أسماء الصحابة القادة الذين كان لهم نصيب أوفر في عملية الفتح، وهذا هو الترتيب الذي اعتمده ولم يعتمد التراتيب السابقة المعهودة لكتب التراجم على الحروف أو الوفيات أو المدن ....وما شابه ذلك. مما يصعب عملية البحث في الكتاب وقد نستطيع ترتيبه على الوفيات لأن جل المذكورين ذكرت سنة وفاتهم ثم يستطرد فيخبرنا هل طبيعة الفتح كان صلحا أم عنوة، شارحا كيف أن كل الفتوحات انطلقت من القيروان باعتبارها كانت عاصمة المغرب العربي آنذاك إلى مختلف مدن إفريقية والأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط، ومُبْرزًا أهم القادة الذين تولوا تلك العمليات وخصوصا قادة الفتح الأوائل: كعمرو بن العاص، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومُعَاوية بن حُدَيْج.....وإن كانت تراجم هذا الكتاب تدور على ثلاثة أنواع من لفاتحين من غزا إفريقية من كبار الصحابة، ومن غزوا إفريقية وعُدُّوا صحابة بالمولد لصغرهم، و. من غزا إفريقية ممن اختلف في صحبتهم.

ثم يذكر المؤلف سن المتوفى ومكان دفنه، وأحيانا حين تسعفه لمعلومة يذكر سنة الولادة وهذا ليس كثيرا لأن القدامى لم يكونوا يهتموا بسنة ولادتهم كثيرا، وأبو راس منهم لأنه لم يذكر حتى سنة ولادته حينما ترجم لنفسه في كتابه " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته". كما يضبط أحيانا الأسماء خوفا من التصحيف فمثلا

في ذكر عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، يكتب عبيد ثم يذكر بضم العين وفتح الباء، مصغر أي: أ،هـ ورد مصغرا على وزن فعيل.

كما أنه أحيانا يصحح بعض الأخبار المتداولة كما فعل مع الذي حلق لرسول الله في صلح الحديبية أنه معر بن عبد الله العدوي وليس أبو زمعة البلوي الشائع عند المغاربة والوارد في أخبارهم[23].

ثم أنه رحمه الله أحصى المكثرين من الحديث حيث قال: "المكثرون من الحديث أبو هريرة 5374 حديثا، ويليه عبد الله بن عمر 2620 حديثا، ثم أنس بن مالك 2268 حديثا، ثم عائشة 2210 حديثا، ثم عبد الله بن عباس 660 حديثا[24].

وعندما يذكر اسم صحابي فإنه يعدد الصحابة الذين يشتركون معه في نفس الاسم لرفع الالتباس مثل ما فعل مع كعب بن مالك حينما ذكره ذكر معه كعب بن عاصم الأشعري وكعب بن عدي بن حنضلة التنوخي وكعب بن بياضة العبسي وأنهم لم يصلوا المغرب بخلاف كعب بن مالك صاحب الترجمة.

ولعله أحيانا يذكر بعض الصحابة التي تذكر بعض المصادر القليلة دخولهم المغرب ولكن يتتبعها وينفيها ويسوق الأدلة التاريخية والمنطقية عن عدم حصولها وهذا ما فعله مع الصحابي عبد الله بن جعفر بن عبد المطلب. الذي أكد أنه دخل افريقية ولكن لم يتجاوزها إلى المغرب، وهو آخر صحابي يترجم له في هذا الكتاب. وفي الأخير يجب التنبيه على أن كتاب الإصابة لصاحبه أبي راس الناصري من المراجع القليلة التي ترجمت للصحابة الذين وفدوا المغرب العربي، ويعتبر من المصادر النادرة التي عرفت بالصحابة الذين دفنوا في المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب.

الهوامش.

1 / أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تصحيفات المحدثين، تح: محمود أحمد ميرة، ج1 ، ط1، المطبعة العربية الحديثة،1982م، ، ص. 12.

[2] / . تنظر الترجمة لدى : كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهليّ حتى سنة 2002م، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2002م، ج1، ص57.

[3] /. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص. 54.

[4] / . أبو ارس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق وضبط وتعليق، محمد بن عبد الكريم الجزائري دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990 ،ص 19.

[5] / . ينظر: عبد الحق زريوح، أبو راس الناصري ومؤلفاته، محلة التراث العربي، العدد؛ 97، ص. 230.

[6]/ . هو أبو حامد المشرفي، في كتابه ذخيرة الأواخر والأول.

[7] / . فهرس الفهارس، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ط2، ص. 105.

[8]/ . إغناطيوس كراتشكوفسكي (Крачковский, Игнатий Юлианович) مستشرق روسي، أحد مؤسسي مدرسة الاستشراف الروسية .ولد في 4 مارس 1883 في فيلنيوس وتوفي في 24 يناير 1951 في لينينغراد. لقد شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة العربية وثمة رأي يقول إنه كان مكتشف الأدب العربي الجديد بالنسبة للغرب. ينظر: موسوعة المستشرقين (1993). د .عبد الرحمن بدوي .دار العلم للملايين،ط3، بيروت، 1993، ص. 468، وما بعدها.

[9]/ . إغناطيوس كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ج1 ،ترجمة: صلاح هاشم ايفور بلياف، ط1 ،لإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، موسكو، ص 312.

[10] / . هذا ما يو افقه من التأريخ الميلادي ؛ 27/أفيل 1823م.

[11]/ . معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، د.ت، المجلد8، ص. 277.

[12]/ . الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، محمد أبو راس بن أحمد بن الناصر المعسكري، تحقيق:أجمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010، ص.07.

[13]/ . يدل على أن أبا راس اطلع على شرح البردة لابن خلدون وهو اليوم مفقود.

[14]/ . ينظر: المرجع السابق، ص. 22.

[15]/ . عبد السالم بن سودة: »دليل مؤرخ المغرب الأقصى« ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1962 ،ج2 ،ص.439.

[16]/ . ينظر: المرجع نفسه؛ ص. 07

[17]/ دعاه إلى الإسلام النجاشي ملك الحبشة فأسلم عندما ذهب لرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة هروبا من بطش قريش، ينظر: أسد الغابة، في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج3، ص. 115.

[18]/ . هو يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز العدوي العمري الواسطي البغدادي، توفي سنة 606هـ ينظر: الإصابة، ص. 37.

[19]/ . كان أبو راس دائم الدعاء لفتح الأندلس مرة أخرى بعد هزائم الإسبان على السواحل الجزائرية .

[20]/ .ينظر: سيرأعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي،ج3، مؤسسة أفريقيا، ص.533، 534،

[21]/ .تُوفّي النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل في العام الحادي عشر للهجرة أي ما يو افق العام 633 ميلادي من شهر حزيران وكان له -صلّى الله عليه وسلّم- من العُمر ثلاثة وستون عاماً.ينظر: سعيد حوّى (1995)، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ط3، عمان: دار السلام، ص. 1000، جزء 2. بتصرّف.

[22]/ .ينظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لابن الدباغ، ج1،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، ص. 161.

[23]/ .ينظر: الإصابة ، ص. 68.

[24]/ .ينظر: الإصابة، ص. 67.